حتى ابيضت عيناي

رواية

سالي نقاش

رواية

حتى ابيضت عيناي

تأليف :
سالي نقاش

تدقيق ومراجعة
أ. سام فطاني

إهداء . .

لـ للصمت . . . ولكـــــل جمادٍ ينطقُ .

للهاِتف . . للقهوة . . وللحب .

المقدمة

قد لا يكون كل ما نتمناه نحن الفتيات هو الحب والإستقرار وتكوين تلك الأسرة المأسورة تحت سجن الزواج أو خارجه، وتلك الطرحة وذلك الفستان الأبيض الذي سيبهت يومًا ما ،فقد انتهى هذا الحلمُ بالنسبة لنا في هذا العصر .

ولكن لم ينتهي بالنسبة لمجتمع " متحجر " .

كل ما يفكر به هو تزويجنا مبكرًا حتى لا نكون ذات يوم عارٌ على أفراد العائلة .

نحن في القرن الحادي والعشرون ، وما زلن فتيات هذا المجتمع في أعين الجميع

كتلة شرف تسير على الأرض ، فبعضهن يُمنع من التعليم أو العمل . . حتى تتزوج ويحمل همها زوجها . . الذي يحرم ويُهين ويذُل .

تمامًا كـ " زوجي " .

" ليس كل عائلة عقيمة التفكير ، ولا كل مجتمع متخلف وليس كل رجل عديم شرف "

الباب الأول :

" البداية " .

٢٠١٤/١٢/٦ يوم الإثنين – لندن

نعيق غراب ، وصرير رياح ، ليلة لم يطلع لها شمس الأمل بعدها .

صوت غريب صدر من شرفة الغرفة ، استيقظ حسّان فزعًا

وخرج من غرفِته ليرى ما ذلك الصوت ؟ .

فقد كان شبيه بصوت حصاة تُرمى على زجاج .

فتح الشرفة وهو في قمة الخوف ، و عندما وصل الى حافتها ! !

وجد صندوقٌ اسود . .

دخل مسرعًا وترك الصندوق بالخارج ، خوفًا من أن يكون به

متفجرات أو غيرها من الأمور .

فهو يقطن في الدور العشرون فمن الغريب . . بل من المستحيل بأنه رُمي من الأسفل للأعلى كل هذه المسافة ، والأغرب من ذلك بأن هذا الصندوق لم يكن موجودًا ظهر اليوم .

استجمع قواه . . وقرر الخروج مرة أخرى لفتح الصندوق ..

وجد رسالة بخط اشبه بخط الأطفال . . !

"مرحبًا ، أنا غادة . .

لقارئ هذه الرسالة ، اعذرني عن سواءة الخط وعدم وضوحه

انها الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، و ها أنا أكتب كل حرف من سطح مكتبي، بين الآف الأوراق خائفة من أن اسكب كوبُ القهوة

لِقارئ الرسالة :

" أنا الآن في مكان آمن ، انام بلا اثار ضرب . .أنام دون سماع الإهانات، وأخيرًا . . أنا حرة وفي حضن حنون .

قد تتعجب مما في محتوى الرسالة ، وقد تعطِف وتشفق . . ولكن لا فائدة من ذلك الآن . ولكنني أطلب مِنك بأخذ هذه الرسالة والذهاب بها لجدتي . . لا تقلق ف عنوان منزلها مرفق بالخلف وإن لم تجدها بالمنزل فأدخله ، فلا حرج " .

ولمهلة من الوقت ، عندما كان يفكر حسان في من هي غادة ؟ طرق باب الغرفة ،و زاد توتر حسان للضعفين .

إنها الثالثة صباحًا ؟ . .لحظة ؟ذكر في الرسالة بأنها كُتبت الساعة الثالثة ! ! !

أيعقل بأن يكون ذات الشخص ؟ أم انها غادة ؟ . .

بخطوات خفية ذهب ليرى من العين السحرية ، ليُصعق بما راه !

فتاة تنزف عيناها دماً . . ولباسها يكاد يظهر جسدها من كثر الثقوب التي به .

كتم أنفاسه . . وجحظت عيناه ، التف لينظر مرة أخرى ليؤكد ما رأه ! ! ، وإذ يرى ظلامًا حالِكاً ، وظرفُ مشع رُمي من أسفل الباب .

صرخ حسان بأعلى صوتِه قائلا: من في الخارِج ؟ .

في بداية الأمر لم يسمع شيء ، ولكن بعد عدة ثوانِ . .

صدر صوت موسيقي اشبه بعزف الة البيانو ، عزف حزين لأغنية مألوفة بالنسبة لحسان ولكنه لم يتذكرها في تلك اللحظة .

واحد . . اثنان . .ثلاثـ .

فتح حسان الباب واخذ معه الظرف واتبع بعدها الصوت الصادر ولكن الغريب بإنه كل ما ظن انه اقترب من مصدر الصوت . .يخيب ظنه.

فظل يسير حتى أوصله لغرفة تحمل الرقم ١١٣ ، واختفى بعدها الصوت . .

شعر حسان بأن الظرف يحمل شيئاً يخص هذه اللحظة ، و عندما فتحه . . فُتح باب الغرفة .

تردد ما بين الدخول . . والفرار .

وما هي الا ثوانٍ حتى قُفل الباب بقوة واحترق الظرف بين يدي حسان.

تراجع لألف خطوة للوراء حتى دخل المنزل واختبئ بين غطاء فراشه راجفًا .

الساعة الرابعة من فجر يوم الثلاثاء .

صوت عقارب الساعة جعل من الأمر اكثر هدوءً والغريب بأن حسان غط في النوم ولم يعد يكترث لأي شيء وكأن شيء لم يكن .

الساعة الحادية عشر صباحًا . .

استيقظ على اتصال هاتفي من صديقهُ حُسام قال فيه : استيقظت بعد خمسون اتصالاً ؟ ألم يحترق هاتِفُك بعد يا رجُل ؟.

حسان : كانت ليلة متعبة بالنسبة ليِ ، قُل لي كم الساعة ؟

حُسام : انها الحادية عشر ، لا داعي لأن تأتي للدوام فما هي سوى ساعات وينتهي وقد خُصم مِنك وانتهى الأمر .

حسان : حسنًا .

أقفل الخط حسان وذهب ليستحم ، فتح خزانة ملابسه ليخرج ما سيلبسه لذلك اليوم وفي ذلك الحين طرق باب المنزل . .

وبعد ما حصل في الليل زاد قلق حسان ولكن ذلك لم يمنعه من رؤية من بالباب ، خطوة تلي الأخرة . .

ونبضات قلبه لم تهدئ حتى سمع صوت رجل يرد التحية على أمين المنزل " وعليكم السلام يا محمد " .

فتح حسان الباب للرجل وعندما رأى شكلهُ يبدو مُريبًا فسأل قائلاً: من انت ؟ .

أجاب الرجل بنبرة ساخرة : ألم تعرفِني ؟ ألا ابدو وكأنني ساعي بريد ؟ هههههه و لكن لا يهم من الواضح بأنك للتو مستيقظ ولن أطيل عليك فجئت لأسلمك هذا الصندوق و الرسالة، وكل ما أطلبه منك هو أن توقع بالاستلام.

وقع حسان واستلم الرسالة والصندوق ، لم يكن قلق لأن الصندوق لم يأتي بطريقة مريبة .

فتح وقتها الرسالة وقرأ ما هو لم يكن بالحسبان . .

"عزيزي حسان . .

طرقت باب منزلك ليلة البارحة ولم تفتح لي، ولكن لا تقلق عذرتُك فلا ضيف يأتي في الساعة الثالثة صباحًا وبمنظر مريب، في الصندوق هدية اعتذار لك أتمنى بأن تنال اعجابُك ، ولا تنسى طلبي لك في ليلة البارحة بأن تزور جدتي ، سأراك قريبًا" .

غادة

من شدة ما الخوف أصاب قلبُ حسان سارع بتمزيق الورق . .

فتح الصندوق ليرى ربطة عنق كُتب عليها الرقم ١١٣ . . بدم .

سرعان ما ألقى الصندوق في سلة القمامة ، وظل لدقائق يحدق بربطة العنق ويربط الأحداث بما حدث ليلة البارحة .

فتح باب المنزل واخذ يجري للشقة رقم ١١٣ ، وفي طريقه سمع أحد جيرانه بأن الشرطة تُحاوط المكان حتى لا يدخل أحد أو يخرج ، توقف وسأل أحدهم : لم الشرطة تحاوط المكان ؟

رد قائلًا : حصلت جريمة في شقة ١١٣ لرجل والغريب بأنني سمعت بأنه مات مشنوقًا ولكن الدم يملئ المكان .

حسان : منذ متى وهم متواجدون في المبنى ؟

رد الجار : يا صديقي أنهم منذ الصباح الباكر هنا ، أخي بالخارج ومانعوا رجال الشرطة دخوله .

لوهلة . . صمتَ حسان متفاجئ . . !

إن مانعوا دخول اخ جاري . . فكيف لساعي البريد اعطائي الصندوق ؟ .

بدأت اطرافه تبرد . . شعر بدوار حتى سقط مغشيٌ عليه .

وبعد محاولات لإفاقته من قبل الجميع استيقظ على صوت امرأة :

" حسان . . حسا . .

عندما فتح عينيه وجد خطيبته " جوانا " دفعها للخلف وركض لشقته ليتخلص من ربطة العُنق .

استنكر واستغرب الجميع من فعلته فكيف به بأن يدفع فتاة بهذه الطريقة ويفر هاربًا لغرفته ، ولكن هذا لا يهم فالمهم هو عند وصول حسان لشقته وجد رجال الشرطة في طريقهم له .

لم يقاوم او يعارض دخولهم لمنزله بل سمح لهم ودخل معهم ليحاول أخذ ربطة العنق دون أن يشك أحد .

الغريب في الأمر هو أن ربطة العُنق . . أختفت .

كيف لذلك بأن يحدث ؟ لقد كانت في سلة القمامة ؟ .

قرر بأن يحاول البحث ولكن أوقفه أحد رجال الشرطة بأمر من المُحقق ليستجوبه : قُل لي يا سيد . . ؟

حسان : اسمي حسان

المحقق : اسمٌ جميل وهذا يدل بأنك عربي أليس كذلك ؟

حسان : نعم هذا صحيح .

المحقق : جميل جميل ومنذ متى وانت متواجد في لندن وتقطُن في هذا المنزل ؟

حسان : منذ وفاة والدي عام ٢٠١٠ هاجرت من بلدي لهُنا من اجل العمل والابتعاد عن الضغوطات النفسية .

المحقق : حسنًا ، بما انك تسكن في هذا المنزل لثلاثة أعوام معنى ذلك بأنك تعرف سُكان المبنى جيدًا .

حسان : ليس صحيح ، فالمبنى عشرون دور ولا اعرف سوى من هم في الدور هذا سوى جون جاري وخطيبتي جوانا وجاري في الدور الخامس عشر الطبيب هاري . .

المحقق : حسنًا ، ولم تتعرف على أحد من الدور الحادي عشر ؟

حسان : لا ، الجميع هنا يتجنبون الحديث معي عندما يعرفون بأنني عربي مسلم .

المحقق : غريب ؟ جريمة القتل التي حدثت في هذا المبنى هي لرجل عربي مسلم فكيف لك بأن لا تعرفه .

حسان : أجبتُك يا سيدي عن ما اعرفه ، وليس لدي شيء أخر لأقوله .

أحد المفتشين : سيدي ، لم نجد شيء .

المحقق: سررت بمعرفتك يا سيد حسان، شاكر لك حسن تعاونك.

حسان بعد خروج رجال الشرطة قلب الغرفة رأسا على عقب بحثًا عن ربطة العُنق .

لم يجدها ولم يجد الصندوق وحتى الرسالة . . !

ظل حسان يحاور نفسه . .

"ما هذا اليوم اللعين ؟

بدايته صندوقٌ اسود وبعده ربطة عنق ملطخة بدماء ورسالة لعينة وجريمة قتل كدت أتهم فيها بلا شك " .

تلقى حسان اتصال هاتفي من حسام ولم يكن قادرًا على الرد ، فتجاهل اتصاله ودخل ليستحم . .

"كُلما تأخرت عن موعد لقاء جدتي ، كلما استلذذتُ بقتل شخص أخر ، ولكن في المرة القادمة فستكون الضحية . . جوانا" .

هذا ما كُتب على مرآة الحمام بقلم احمر الشفاه . .

بدون تفكير مسبق مسح ما كتب واسرع ليبحث عن الرسالة التي كُتب فيها عنوان منزل الجدة ليرى ما نهاية هذا الموضوع .

عنوان المنزل يبعد عن المبنى بـ ١٨٠ كلم وهذا يعني بأنها خارج مدينة لندن .

اتصل على جوانا وأخبرها بأنه ذاهب لعشاء عمل حتى لا تقلق .

ولكنها لم تجب على اتصالاته ، بحجة أنها غاضبة مما حصل في صباح اليوم ، فأرسل لها رسالة نصية :

" حبيبتي . .

اعلم بأنك غاضبة مني مما حدث اليوم ولكن اعذريني هناك أمور يجب ان اخبرك عنها ولكن في الوقت المناسب ، أنا الان ذاهب لقرية خارج لندن مع أصدقاء العمل . . أحبك "

استوقف حسان رجل عجوز يبيع الورد ، اشترى منه ليذهب به لمنزل الجدة فمن المحرج بأن يذهب لمرأة عاجزة ولا يحمل شيء لطيف .

إنها الساعة الخامسة مساءًا لحظة وصول حسان . .

أمطارٌ غزيرة ومزارع تحيط بالمكان مما جعل المنظر مخيف ، وجد طفلة فاستوقفها ليسألها عن المنزل الذي يحمل الرقم ١٣ ، فأشارت بيدها بأنه ذلك القصر البعيد .

كان يعتقد حسان بأن منزل الجدة منزل بسيط ولكن كان القصر بالنسبة لما كان في مخيلته صدمة .

أخبرته الفتاة بأن الطريق لذلك المنزل وعر فعليه أن يأخذ حذره .

قبلها واعطاها من أحدى الورود التي اشتراها .

ركب سيارته متجهًا للقصر وعند وصوله وجد عجوز ، فاعتقد انها هي الجدة . .

حسان : مرحبا . .

لم تجبه ، فحاول مرة أخرى قائلا : مساء الخير يا جدة .

التفت لتُجيب : أهلاً يا ابني ، عن من تبحث ؟

حسان : عن السيدة . . لا أتذكر اسمها ولكنها جدةُ فتاة تسمى غادة .

أدارت وجهها ضاحكة : وأخبرته بأنها تنتظره بالأعلى وأن اسمها هو السيدة صبا .

الباب الثاني :

" فخ القصر " .

بدت ملامح الريبة تظهر على وجه حسان منذ وصوله لباب القصر .

طُرق باب القصر للمرة الأولى فسمع صوت بكاء طِفل . .

وطرق مرة أخرى . . فخرجت الخادمة لتخبره بأن السيدة صبا تغط في نوم عميق ، وفي لحظة أقفالها للباب قال حسان : أنا من طرف . . غادة تغيرت ملامحها المبتسمة لحزن وبنبرة حزينة قالت : تفضل . . تفضل .

ظهرت على حسان أثار حساسيته من الغبار ، فأخذ يعطس بكثرة .

استغرب بداية الأمر من كثرة عطسه ، ولكنه عندما جلس في غرفة الضيوف ولامست يداه طاولة التقديم . . وجدها مغطاةٌ بالأتربة وكأنها لم تُنظف منذ أعوام ، ادرك بأنه يعطس بسببها .

كيف لقصر به خادمة أن يكون مملوء بالأتربة والأوساخ ؟ .

السيدة صبا : السلام عليكم . .

حسان : وعليكم السلام ، ء أنتي السيدة صبا ؟

السيدة صبا : نعم أنا ، ولكن ما الذي جاء بك لهنا ؟ .

حسان : وصلني طرد به رسالة تخبرني بأن أزورك ، مرسل من الأنسة غادة .

السيدة صِبا : غادة ؟ أمتأكد ؟ .

حسان : الرسالة معي ولكنها في سيارتي الآن .

السيدة صبا بدأت تجهش بالبكاء وفي ذلك الحين قالت :

أنا من دفنتها، فكيف هي من أرسلت إليك بأن تزورني ؟ .

ارتفع صوت حسان صارخًا : كيف بذلك أن يحدث ؟ .

السيدة صبا : غادة يا بُني قُتلت من قِبل زوجها منذ ثلاثة أعوام مضت .

انظر لتلك اللوحة المُعلقة ، التي ترتدي الفستان الأحمر بجانب الرجل هي غادة . .

وممن تقف بجانبي هي جِنان . . توأم غادة ولكنهما لا تتشابهان اطلاقًا .

لم يستطع حسان رؤية وجه جنان بوضوح فتجاهل الموضوع .

لأن كل ما كان يشغله في ذلك الوقت هو . .

" من صاحب رسائل غادة ، ولِم يطارده ؟ "

طلبت السيدة من حسان بأن يصعد معها للأعلى ليساعدها في التخلص من بعض الأغراض المتعلقة بغادة ،فمنذ وفاتها لم يطرق باب القصر احد .

ظل يسير بين طرقات القصر المملوء بالغرف الفارغة ، وفي لحظة سقط حسان مغشي عليه نتيجة ضربة في الرأس . .

سُحب لداخل غرفة غادة وأغلُق الباب ، تُرك حسان هناك حتى أستيقظ وجد نفسه بين أربعة جدران مملوءة بلوح مرسومة ، وجميعها تحتوي على فتاة . . مقتولة شنقًا .

رغم تعجب حسان وخوفه فإنه قام ليبحث عن مخرج من هذه الغرفة .

أنزل قدماه واصطدم بـ خزانة حديدية موضوعة بالقرب من السرير .

نزل ليحاول فتحها ، مرة واثنان وثلاث .

وعندما وضع يداه خلف الخزنة وجد ورقة ، ويبدو أنها حديثة فهي لا تكسوها أية أتربة !

كُتب عليها بنفس الخط الذي رأهُ في الورقة . .

" لفتح الخزانة تذكر مخطوطة الدم التي اختفت من غرفتك "

كتب ١١٣ وفتحت بعدها الخزانة ، لا شيء سوى مفاتيح ومادة سائلة موضوعة في زجاجة وبالإضافة لكشاف.

طرق حسان باب الغرفة . . ولا أحد يجيب .

حاول فتح الباب بتلك المفاتيح ونجح الأمر ، ولكن عندما خرج لم يرى سوى ظلام حالك . .

جميع الأنوار مطفئة . .

سار بذلك الكشاف حتى وجد تلفاز في نهاية الممر ظاهر فيه عبارة " التفت يمينًا واسكب المادة حول تلك الحدود وعندها

ستجد ما تبحث عنه وستخرج بأمان ، ولا تقلق فأنا اسمعك . .

واسمع أنفاسُك المتقطعة "

لم يدرك حسان في بداية الأمر أن الحدود مرسومة على شكل معين

رمى حسان الكشاف بعيدًا وبدء بسكب المادة على جميع الحدود

بحسب ما يلامس يده من غراء ، ولكنه لا فائدة فلا شيء ظاهر .

وماهي إلا ثوان قليلة ، حتى شع المكان بنور مضيء بلون الأزرق .

ليتفاجئ بشكل مسرح جريمة لجثة قُتلت .

أسرع حسان بأخذ صورة للمكان ، وبعدها تمالك نفسه وفر

خارجًا من القصر .

قابلته ذات العجوزة استوقفته لتسأله : أوجدت أحد بالداخل ؟

حسان : نعم ، شكرًا لكِ .

أخذ طريقه للعودة وفي ذلك الحين أصبح الجو باردًا ، فتوقف جانبًا ليبحث عن معطفه في المقاعد الخلفية ، وجد صندوق أخر . .

قال في نفسه : ليلعن الله جميع الصناديق في هذه الدنيا .

لم يعد يقلق فمن الواضح بأن من تركت هذا الصندوق هي غادة أو أحد من طرفها .

فتح الصندوق ، ووجده مملوءً بأوراق ومذكرات وبعضاً من الصور القديمة لغادة .

أغلقه ليقرأ جميع ما فيه في المنزل، وفي ذلك الحين اتصلت جوانا . .

جوانا : حبيبي ، أين أنت ؟ .

حسان: ألم تصلك رسالتي بأنني في خارج لندن مع أصدقائي ؟ .

جوانا : كلا ، أتصلت على حُسام فقال لي بأنك لم تذهب معه .

حسان : صحيح فأنا ذهبت مع أصدقائي الأخرين . .

أمم جوانا عزيزتي الأجواء ماطرة هنا سأتصل بكِ عندما أصل للندن ، أحبك .

زاد غضب جوانا ، مما جعلها تتخذ عهدًا بأن لا تجيب على اتصالاته ظنًا منها بأنه يخونها لذلك أغلق الخط .

" الساعة التاسعة مساءًا " .

شعر حسان بأن جوانا غاضبة ، فقبل رجوعه أشترى سلة ورد وبداخلها علبة من الشوكولا التي تحبها .

أتصل عليها للمرة الأولى فلم تجب ، والثانية والثالثة وحتى العاشِرة.

فقرر الذهاب لمنزله أولا ليضع الصندوق وبعدها يذهب لطرق باب منزلها . .

جوانا : ء أنتهيت منها ؟ أعجبتك؟ .

حسان : من هي ؟

جوانا : أنت تعلم من هي .

حسان : افتحي الباب بالاول فالشيء الذي أحمله ثقيلاً نوعا ما .

جوانا : لن أفتح .

حسان : افتحي ولا أكلت جميع الشوكولا بمفردي ! .

جوانا : أي نوع من الشوكولا ؟ .

حسان : بالبندق .

جوانا : حسنًا ، سامحتك ولكن هذا لا يشفع لك بأنك لم تكن معي طوال اليوم .

حسان : والله لم أكن مع فتاة أخرى ، بل كنتُ مع أصدقائي .

جوانا : لا يهم الآن ، قُل لي أين ذهبتم ؟

حسان : قال جون بأن هناك قرية على بعد ١٨٠ كلم خارج لندن أجواءها ريفية بحت ، فذهبنا للمكان ووجدناها تمطر .

ابتسمت جوانا ابتسامة غريبة لم يفهمها حسان وقالت له : تأخر الوقت هيا اذهب لترتاح .

وجدها حسان فرصة للهرب لمنزله حتى يفتح الصندوق ويتصفح ما به ، فقال لها : اليوم لم اذهب للعمل وإن لم اذهب غدًا فحتما سأفصل .

ودعها ودخل المنزل ، وظل يتصفح في المذكرات فوجدها مرقمة حسب الأعوام . .

فبدء بمذكرة عام ٢٠٠٩ . .

يوم الخميس الموافق ٢٣/١٠/ ٢٠٠٩ هـ

" أنا في قمة اليأس والحزن ، فيوم كهذا أن اتى لفتاة غيري لكان حالها سيكون أفضل من حالي وستكون في قمة السعادة .

تقدم لي رجل يُقال بأنه رجل محترم وذو وقار .

ووافق أبي عليه وحتى أخي ، بينما أنا فلم يسمح لي بإبداء الرأي، فكل ما كان علي فعله هو التزين لمقابلته .

لا أحد يقف معي الآن سوى أختي جنى ، تحاول التخفيف مما أشعر به بقولها بأنني سأعيش في الخارج معه وسيسمح لي بإكمال دراستي الجامعية .

ولكن قلبي لم يكن يشعر بأن كل ذلك سيحققه هذا الزوج

أجبرتُ على الخروج له ورأيته وجهًا لوجه ، فزاد شعور الخوف من المستقبل الذي سأقضيه معه ، فلم أكن مطمئنة البتّ .

زياد ، طبيب ولديه ٣ أخوة يصغرونه بأكثر من ١٠ أعوام .

درس حياته الجامعية في لندن وحصل على وظيفة هناك بمرتب عالٍ ومغري ، وتقدم لي بسبب رؤية والدته لي في أحد الأعراس ليكمل ما تبقى من حياته في خارج البلد ، قرر أبي بأن يكون العرس في بداية السنة القادمة بتاريخ ١٣/١/ ٢٠١٠ هـ .

أي بعد شهرين ونصف من اليوم ، وعقد القران سيكون الخميس القادم ، وكانت أحد شروطه هو أن لا يقام حفل عرس كبير ، فقط سيكون في منزلهم برفقة أهله واهلي " .

توقف حسان عن القراءة واستشعر بأن الامر يخصه ، فلديه ٣ أخوه يكبرونه وأكبرهم . . زياد .

وأيضا التاريخ المكتوب ، هو ذات الرقم الذي يتكرر . .

فجريمة القتل في هذا المبنى كانت في الشقة ١١٣ وربطة العُنق وحتى رقم الخزنة التي في القصر .

ولكن لحظة . . حسان لم يرى زياد إلا بعد بلوغه عمر العشرون عام، ولم يكن يعلم بأن زياد " رحمه الله "كان متزوجًا ، بل كل ما كان يعلمه هو أن زياد يعيش خارج البلاد ويعمل طبيبًا هنا في بريطانيا وتوفى قبل ٣ أعوام جراء اصابته بسكتة قلبية مفاجئة وكان في نفس العام الذي توفى فيه والده .

قرر حسان اغلاق المذكرة والنوم مبكرًا ليستيقظ ويكمل بقية المذكرة ، وللحظة يردهُ اتصالاً هاتفيًا من رقم مجهول . .

" مرحبًا حسان أتمنى بأن لا تكون قد نِمت بعد ، فأنا أنتظرك اسفل شرفتك ، مع السلامة " .

اسرع بفتح باب الشرفة وأخذ ينظر للأسفل ، ولم يجد أحد أو شيء، ظن وقتها بأن ستحصل جريمة أخرى مثل ما حدث ليلة البارحة ، فخرج من الشرفة متجهًا لخارج شقته .

استقبل اتصالاً هاتفيًا أخر وقال فيه : من أنتي ؟ ، ولم تطاردينني ؟ .

أجابت ضاحكة : دمها المهدور لن يذهب هباءً . . فذلك وعدي لها ، وسأعدك أيضًا بأن تتمنى الموت ولن تجده هههههههههه .

شعر وقتها حسان بأنه مراقب من شخص يعلم جميع تحركاته وأين يذهب ومع من و إلخ ، بالإضافة بأن حياته معرضة للخطر ولا يستطيع أخبار رجال الشرطة ، لأنهم سيكتشفون بأن ربطة العنق كانت معه هذا الصباح مما سيجعله الجاني بلا شك .

لم ينم حسان في تلك الليلة ظل مستيقظًا شاعرًا بالخوف والقلق .

فأخذ يقرأ ويكمل في تلك المذكرات ، واستوقفه بأن بعض الأوراق سُكب عليها ماء والبعض الاخر قهوة .

" اليوم ١٣/١/٢٠١٠ هـ *أول ورقة من مذكرة عام ٢٠١٠ .

اليوم زفافي . .

أنها الخامسة مساءًا وأنا لم أستعد بعد للخروج ، لو أن أمي مازالت على قيد الحياة لكانت معي في هذه الساعة ، لتحاول اسعادي قليلًا ، بعدما أجبرت على الزواج منه وإلا لحرمت من دراستي وطردت خارج المنزل ، أشعر بجبل يعلو صدري ولا أستطيع بأن ازيحه ، كيف لي البعد عن أهلي والعيش مع رجل يكبرني بإحدى عشر عامًا ، وهذا في وجهة رأي الأخرين زوجٌ مناسب ، الغريب بأنني لا أعلم كيف هي أخلاقه أو أي شيء عنه فلم نتحدث منذ يوم عقد القران سوى ساعات معدودة . .

عليّ التوقف عن الكتابة الآن ، وتقبل الأمر الواقع فكلها ساعات وأزف كـ أتعس عروس " .

يوم الأحد الموافق ١٦/١/٢٠١٠ هـ لندن

" هذا يومي الأول في لندن ، الطقس مثلج فدرجة الحرارة ٦ تحت الصفر ، توجهنا لمنزل زياد الذي يبعد عن مدينة لندن بـ ١٨٠ كلم ، وعند وصولنا لم أكن أعلم بأن زياد يمتلك قصر عظيم ، المكون من ثلاثة أدوار غير الطابق الرئيس وثلاث وعشرون غرفة لن يسكن فيها أحد ، تعجبت في بداية الأمر من كثرة الغرف وتصميم القصر . ولم استطع طمر اندهاشي به ، فكنت اقطن في شقة مكونة من غرفتان وصالة ، والآن هذا القصر ! .

همس لي زياد قائلًا : هذا القصر بنيته ولا أحد يعلم عنه . . سواك وها أنتي أول ساكني القصر وأول ساكني . . قلبي .

شعرت وقتها بأن الله عوضني عن بكائي طيلة الشهور السابقة بـ

زياد ، صعدنا للطابق الأخير لأختيار غرفة النوم . .

فجذبتني الغرفة التي تطل على المزارع المجاورة وبعدها طلب مني

باختيار غرفة أخرى لتصبح . . مرسمٌ لي .

ابتسمت وقتها وقلت في نفسي كيف له بأن يعلم بأنني أحب

الرسم، ولم يمضي على زفافنا سوى يومان .

أخترت بأن تكون الغرفة في الدور الثاني حتى أن رجع للمنزل وكان

متعب ، لا أزعجه بصوت الموسيقى الصاخب . .

هذا هو يومي الأول السعيد في لندن . . والأخير " .

ظل حسان يُقلب في المذكرة حتى استوقفته صفحة لم يكتب فيها سوى " قُتلت مئة مرة حتى الآن ، ولا أجد من يُساعدني " .

نظر بعدها فوجد فيها مذكرة بتاريخ ٢٠١٠/٤/١٨ هـ .

" أنا أنام بين أحضان ذئب بشري في كل يوم يدّعي المثالية وبأنه افضل طبيب في لندن ، وما هو سوى بائِع للأعضاء البشرية . .

قرأت أحد الرسائل التي وصلته ليلة البارحة بأن هناك عملية ستجرى لطفلة سيستأصل منها كلية بمقابل مئة مليون دولار ، لأنها ستُعطى لأبنة أحد الوزراء في روسيا .

بعد مرور ثلاثة اشهر مع شخص يمثل دور الحمل الوديع ، اكتشف بأنه سارق أعضاء وأن كل ما أعيش فيه الآن . . مالُ حرام .

اما يكفيه ضربه المبرح واهانته لي بأنني عقيمة لا أنجب . .

نعم ، اكتشفت بأنني لا استطيع الإنجاب ، حُرمت من لذة حفل زفافي وقريبًا . . حرمت من نِعمة الأطفال .

والآن احمد الله مئة مرة بأنني لا اقدر على ذلك ، فما ذنب الروح التي ستأتي لهذه الدنيا لترى والدها . . لص .

لم أعد اطيق نظراته . . رائحته . . وحتى كلامه ، أشعر وكأنني في سجن به متاع الدنيا ، ولا استطيع الاستمتاع .

يومي عبارة عن مئة عام في ٢٤ ساعة ، فلا جارة أو صديقة ، حتى أهلي . . منذ يوم زفافي لا أعلم عنهم شيء .

جنى كانت الوحيدة التي تطمئن علي بين حين وآخر، من وراء أبي.

شعر حسان بدوار شديد وأقفل المذكرة على هذه الصفحة ليخلد للنوم ولو لساعة ، وبالفعل تمكن من النوم حتى الساعة الثامنة صباحًا ، استيقظ بعدها على صوت جوانا من خارج شقته . ذهب ليفتح لها الباب . .

جوانا : من الواضح بأن فكرة ايقاظك من النوم ، فكرة سيئة للغاية عليّ الاستعداد لها في خلال الأشهر القادمة .

حسان : كلا ، ولكن لم أنم جيدًا ليلة البارحة ولذلك استيقظت بقوة وشكرا لكِ ، لإيقاظي .

جوانا : سأنتظرك اليوم بعد العمل في مقهى ، حضرت لك مفاجأة بسيطة ، أيمكنك الا تتأخر يا سيد ؟ .

حسان : حسنًا يا غادة . .

جوانا : غادة ؟ أهذه من كنت معها ليلة البارحة ؟ . .

أخرجت الخاتم التي ترتديه لترميه في وجه حسان وقالت له: يبدو بأنني أخطئت الاختيار مرة أخرى ، أتمنى بأن تبعد كُل البعد عني.

حسان : اسمعيني رجاءً، أقسم برب هذا الكون بأنني لم أكن برفقة أية فتاة ليلة البارحة ، ولا أعرف من هي غادة .

جوانا لم تكترث لكلامه و مضت قدمًا لشقتها باكية تردد في نفسها " أكرهه . . أكرهه " .

شعر حسان بأنه أن لحق بجوانا فأن الموضوع سيتعقد أكثر مما هو عليه ، فتركها حتى تهدأ ومن ثم يخبرها بكل الحقيقة حتى لا يخسرها للأبد .

الباب الثالث :

للصمت . . ثمن .

" عندما تحترق المرأة بالغيرة ، فلا يطفئ نارها سوى الانتقام" .

هذا ما كان ظاهرًا على جوانا ، ولكن عند وصولها لشقتها وتأكدت حسان بأنه لن يتبعها ، ضحكت بأعلى صوت وقالت "لا تعتقد بأنني سأجعلك تنام بسلام من بعد اليوم" .

" مضت ستة أشهر حتى الآن . . وما زال يستغل ضعفي "

هذا السطر الذي قرأه حسان بعدما غادرت جوانا شقته فقد كان يعتلي صفحة ملطخة بدم ، قرأها حسان و أقشعر بدنه و شعر وقتها بأن الحكاية لم تنتهي على أن زياد بائع أعضاء بشرية ، وعديم أحساس فقط .

" لم يكتفي بجرحي بكلماته القاسية بإنني عقيمة ، بل قام بخداعي طيلة الأشهر التي مضت . .

بداية الأمر لم أكن أهتم بذلك الألم الذي راودني في الشهر الذي مضى ، فقد شعرت بأن هناك جرح عميق في بطني من الداخل يجعلني لا أنام جيدًا ، وعندما أخبرته شخَص لي بأنه حصى في المسالك البولية ، دون أية تحاليل أو اشعة . .

فطلب مني التوقيع على أجراء عملية في يوم الغد وقبلت بحكم أنه طبيب ، ولأتخلص من هذا الألم المميت .

حُقنة واحدة كانت كفيلة بأن أخدر لـ ١٠ ساعات دون الشعور بشيء ، وعندما استيقظت بعد العملية وجدته يتحدث بالهاتف

خفية قائلًا : استأصلتها ، وسنجري الزراعة بعد ثلاثة أيام ، ولكن لا تنسى نصيبي من المال .

قلقي بأنه استأصل شيء مني في ذلك اليوم ليبتاعه ويقبض ثمنه لم يكن مجرد شك وقلق . .بل يقين .

عندما التفت إلي مثلتُ بأنني نائمة ولم أسمع شيء، فقال وقتها : هه لم أكن أدري بأنك بهذا الثمن .

هنا قطعت الشك باليقين ، فسئلت نفسي " أبهذا الرخص أنا ؟ جعلني زياد أشعر وكأنني سلعة تُباع لمن يشاء . .

عند رجوعه للمنزل هربتُ لمشفى أخر ، وعندها قابلتُ " أدم" ، طبيب عربي وُلد في لندن ودرس أيضا فيها .

طلبت منهُ المساعدة رفض في بداية الأمر ، ولكن بعد بكائي ورجائي له وافق دون أن يسمع مني ما أصل الحكاية . .

أجرى الفحوصات والأشعة وغيرها من الأمور . . وأتاني مطأطئً رأسه وقال : لا علة في المسالك البولية لديك ولكن . . الرحم غير موجود .

أسودت الغرفة في نظري ، وضاقت بي الأرض بما رحبت .

أتصلت على هاتف والدي فلم يجب ، وحتى اخي . .

قال لي أدم حينها : بأن يجب علي مغادرة المشفى الآن ، لأن الفحوصات وغيرها من الأمور أُجريت بدون مقابل أو أذن .

خرجت للعالم وأنا محطمة ، اتخبط جدران الشوارع والطرقات، ابحث عن مأوى غير ذلك القصر اللعين .

لا مانع لدي بأن ابحث عن جسر أقضي ليلتي في أسفله ، فإني أراه خيرًا من مبيتي مع رجل بإمكانه بيع شرفه مثلما باع قطعة مني بدم بارد .

كنت أظن بأن زياد لن يبحث عني وحتى إن بحث فلن يجدني ، فمنذ الصباح وحتى المساء وأنا لم أجلس في مكان ما ، أمشي متألمة من أثر الجراحة .

وبسبب ذلك لم أدرك بأن أدم كان يراقبني خطوة . . بخطوة .

ولأنني حمقاء . . لم أدرك ايضًا بأن أدم صديق زياد .

غفت عيناي لدقائق بعد توقف الألم . .

وجدت نفسي بعدها في القصر بعد استيقاظي ، صرخت منادية لزياد ، مرة واثنان وثلاث . .ولم يجب .

ملابسي تملؤها الدماء ، وقدماي انتفختا بشكل غريب .

لم استطع الوقوف أو الهرب ، كل ما استطعت فعله هو الصراخ

حتى دخل عليّ الغرفة وضحك شامتًا " بلهاء . . أتعتقدين بأن هروبك من القصر يعني هروبك مِني . .

أريد اخبارك بسر صغير ، أنا لا أنجب وقد طلبت من أدم بأن يزور أوراق التحاليل لتظهر بأن العقم منكِ ، فاستخسرتُ الطلاق عليك وقطعة منك تساوي ملايين الدولارات " .

لُجلجت ، ولم استطع نطق حرف واحد بعد كلامه . .

لم أجد سوى دفتر المذكرات بجانبي ، فها أنا اكتب . . وها أنا اتألم"

انتهى .

أقفل حسان المذكرة ، وشعر بألم غادة وكأنه عاش تفاصيل كل كلمة كُتبت ، نام وهو يفكر بما سيحدث لها بعد ذلك ؟

ولما تصله هذه الرسائل والمذكرات بعد موت غادة ، وهل زياد هو بالفعل اخي ؟ ظل يتسأل حتى غط في نوم عميق . .

الساعة الواحدة ظهرًا من اليوم التالي . .

استيقظ وذهب ليستحم ، وفي ذلك الآن مزق صفحة التقويم التي تحوي تاريخ ليلة البارحة ١٢ يناير . . ليفاجئ بكتابة على الورقة التي تليها .

" تفقد خطيبتك أيها الوسيم ، فقد تجدها الآن تحتضر " .

جُن حسان وخذ يجري في أروقة المبنى متجهًا لمنزل جوانا ، وعندما وصل وجد الباب مفتوحًا . .

وجوانا غريقة بدمائها التي تصب في أرضية المنزل، منظر الدم كان مريب نوعًا ما فليس من الممكن بأن قطع في رسغ اليد يملئ المكان كأنها نُحرت.

اجرى اتصالاً للأسعاف مبلغاً عن حالة جوانا وعندما اغلق الخط نزل للأرض واحتضنها ، شعر للمرة الأولى بأنه سيفقد حبه الأول وللأبد فبكى مرددًا " جوانا . . استيقظي ارجوكِ، استيقظي لنحقق أحلامنا سوية،استيقظي لتساندني فو الله لن أقدر على مجابهة الجميع من بعدك ".

لم تتأخر سيارة الأسعاف في الوصول وذلك ساعد في إيقاف النزيف ونقلها للمشفى .

من سوء حظ حسان بأن المشفى التي نُقلت إليه جوانا هي ذاتها التي كان يعمل بها أدم صديق زياد ، وهو الطبيب الذي يتابع حالة جوانا منذ وصولها .

وعندما تقابلا قرأ حسان بطاقة الطبيب الخاصة بالمستشفى مكتوبة عليها (أدم محمد) لم يخطر في باله بأنه هو الذي تحدثت عنه غادة في مذكراته ، فتجاهل الأمر حتى طلب منه أدم بأن يوافق على إجراء عملية في رسغ جوانا نتيجة قطع عميق فيه ، وعندما كتب حسان أسمه الكامل مضافاً له توقيعه . . جحظت عينا أدم .

ظل يفكرًا هل من الممكن بأن يكون أخ زياد ؟ . .

وهل أتى صدفة ؟ أم يريد معرفة حقيقة . . قتل أخيه .

ظل محدقًا بوجهه وسأله : ألك أخًا اسمه " زياد " ؟ .

حسان : نعم ، أكنت تعرفه ؟ .

قطع الشك باليقين أدم عندما قال : لقد كان زميل لي في سنوات الدراسة وحتى هنا في المستشفى ، آآ أعذرني عليّ الذهاب الآن

نبرة صوته كانت توضع بأنه خائف من أمر ما يتعلق بزياد .

ذهب لإجراء العملية ، فاستغل غيابه وذهب خلسة لغرفة مكتبه.

حاول التصرف بطبيعته ودخل الغرفة واغلق الباب وراءه ، فتش في أدراج مكتبه وفي رفوف الكتب المُعلقة ولم يجد سوى أوراق تخص المرضى وبعض الكُتب المتعلقة بالطب ، ولكن لفت انتباهه بأن حاسوبه الشخصي لا يحتوي على كلمة سر . .

فتحه فوجد فيه ملف يحمل اسم " غادة " . .

ولحسن الحظ كان يحمل في حامل المفاتيح ناقل معلومات ، فلا وقت للتصفح المجلد واكتشاف ما به ففي أية لحظة قد يدخل أدم .

خرج من الغرفة مسرعًا لغرفة العمليات وكأن شيء لم يكن ،

انتظرهم حتى يخرجون منها وماهي سوى دقائق حتى خرج أدم مبشرًا حسان بأنه يمكنه أخذ جوانا معه هذا المساء فهي أصبحت بخير ولكن عليهم البقاء لساعات قليلة حتى تستقر حالتها بالكامل.

الساعة الثامنة مساءًا . .

بعد انتهاء الدوام الرسمي لموظفي العيادات الخارجية وانتهاء وقت زيارات المرضى ، أغلقت كاميرات المراقبة لمدة عشر دقائق لا غير.

عشرة دقائق كانت كافية بقتل الطبيب أدم بنفس الطريقة التي قُتل فيها صاحب المنزل رقم ١١٣ . .وبنفس العنف .

شنقًا حتى الموت والمكان ممتلئ بدماء لشخص مجهول ، وأخرها رقم ١١٣ مكتوبًا في ظهره .

كان المشتبه به الأول في هذه القضية هو حسان ، لأنه ظهر في كاميرات المراقبة في الساعة الرابعة مساءًا داخل مكتب الطبيب.

ولكن البحث الجنائي اكتشف بأن كل سجلات المراقبة قد اتلفت

استُدعي جميع الكادر الطبي المتواجد في المستشفى و مرافقي المرضى للتحقيق معهم .

ولسوء الحظ بأن المحقق لهذه القضية هو المحقق . . جون .

بمروره في طرقات مبنى المستشفى وجد حسان من ضمن الوجود ، فتوقف متعجبًا ما الذي أتى به هنا ؟ أتتعلق هذه القضية به ؟ .

وعندما راه حسان ذهب إليه وقال : أعتقد بوجودي في المكان وحصول هذه القضية فأنا المتهم الأول بلا شك .

المحقق : أنت في موقف لا تُحسد عليه ، فبالفعل أنت المتهم الأول ، وللعلم في هذه القضية ثلاثة محققين أحدهم من خارج لندن ولكن لن أدعهم يحققون معك ، لأنني سأتكفل هذا الأمر بنفسي ، الآن أخبرني لم أنت متواجد هنا ؟ .

حسان : خطيبتي جوانا أجرت عملية في معصمها الأيسر وهي يتيمة الأب والأم ، فلذلك أنا متواجد هنا معها .

المحقق : أليس من الغريب وجودك في أماكن يقتلون فيها أشخاص بنفس الطريقة ؟ .

حسان : من الغريب بالفعل ، ولكن كن على ثقة بأنني لست الجاني فلا علاقة لي به فأنا لم أراه سوى لمرة واحدة وهي اليوم .

المحقق : أتمنى ذلك .

اتى شخص من البحث الجنائي قائلًا : مسرح الجريمة ممتلئ بالدماء مما جعل أمر رفع البصمات أمر صعبًا .

تغيرت ملامح حسان من توتر وقلق ، لراحة نفسية تبعتها ابتسامة .

مما جعل المحقق يشك في أمره أكثر فأكثر .

طلب حسان في تلك الحظة الدخول لجوانا ليطمئن عليها ، فمنذ خروجها من غرفة العمليات لم يدخل لزيارتها او رؤيتها حتى .

دخل معه الطبيب المناوب " فرانك " عن الطبيب أدم ليرى ما أن أمكن خروجها اليوم أم ينتظر للغد ، والغريب بأن جوانا كانت مستيقظة بعد عملية تخدير كاملة وكأنها

لم تتخدر . .

الطبيب فراك : مرحبًا آنسة جوانا .

جوانا مشيرة بأصابعها على حسان : دعه يخرج للخارج فلولاه لما حصل لي ما حصل .

حسان : لا داعي لهذا الكلام الآن ، فأنتِ في حالة لا تسمح بالعتاب .

الطبيب فرانك : كلام خطيبك صحيح ، فلا داعي للضغط النفسي فأنتِ منذ ساعات حالتك تحت مستوى الاستقرار ، ولكن مذكرة المتابعة تظهر بأن حالتك منذ ساعات مستقرة .

جوانا : اذاً يمكنني الخروج الآن من هذه المستشفى ؟ .

الطبيب : نعم بمقدورك ذلك ولكن هناك رجال شرطة بالخارج يُريدون التحقيق معك بشأن محاولة انتحاركِ .

جوانا: من قال بأنني حاولتُ الانتحار ؟ لم يكن سوى زجاج كسرته بيدي وجُرحت .

حسان : ألم يكن منذ ثوانٍ ذلك القطع بسببي ؟ .

جوانا : أتعتقد بأنني سأنهي حياتي من أجل أحمق ؟ .

تدخل الطبيب ضاحكًا : كفاكما شجارًا فلا داعي لذلك ، دعونا لا نضيع وقتًا من أجل تسريع خروجها من هنا بعد التحقيق مباشرة

دخل المحقق جون طالبًا التحقيق مع جوانا بشأن مقتل الطبيب أدم، ولكن أجاب الطبيب بأنها يستحيل تكون أحد المشتبه بهم ، لأنها تخدرت بسبب العملية ، ويبقى تأثير ذلك المخدر حتى ثلاث ساعات بعد أجراء العملية ، وأدم قُتل في حدود الساعة الثامنة أي بعد العملية بساعة واحدة .

ومضيفًا بذلك بأن القطع الذي في يدها لا يجعلها تُحكم ربط عنق الضحية وقتله شنقًا ، فلا داعي للتحقيق مع جوانا .

أقتنع المحقق نوعًا ما وخرج لاستكمال التحقيق مع الأخرين، ولكن مازالت الشكوك تدور بين حسان وجوانا وذلك بالنسبة له، فهذه ثاني جريمة قتل تحدث بهذه الطريقة البشعة ويتواجد فيها نفس الأشخاص ، مما جعلهم من أوائل المشتبه بهم .

من منظور أخر حسان ليس لديه دافع لقتل لشاب مسلم عربي بهذه الطريقة ، أما جوانا فتلك العملية التي أُجريت في يديها تُصعب عليها عملية شنق بالغ يبلغ طولهُ ١٧٩ سم . .وهي ما يقارب ١٥٨ سم.

وفي تلك اللحظة خرجا حسان وجوانا ليعودا للمنزل ، في بداية الأنر بدت جوانا بأنه موافقة بالعودة معه . .

ولكن استقلت في سيارة أخرى لم يظهر فيها من السائق .

تركته بمفرده أمام المستشفى دون نطق حرف واحد أو تبرير منطقي مما جعل حسان يشعر بأنه صفر يسكن خانة اليسار .

انشغل باله عن ذلك الذي ركبت معه جوانا وتركته من أجله ، وكيف له بأن يعلم موعد خروج جوانا !! .

ألف سؤال يدور في رأسه ولم يجد له أية أجابة ، حتى صعد للطابق الذي يقطن بِه ، ليدخل لمنزله .

الكهرباء تسير في أنحاء المبنى ، عدا طابقهُ . .

لم يكترث فهذه المرة الثانية التي يحصل فيها عطل كهربائي كهذا .

عند دخوله !! وجد باب المنزل موارِبًا وكأن أحد دخل للمنزل قبله ، أوراق منثرة تملىء المكان ، وفستان أبيض يعلو سريره .

مرفقًا به رسالة كُتب فيها

" فستان زفافي . . هو ذات الفستان الذي ارتديته لانتحاري "

بالرغم من أن هناك الآف الأوراق المبعثرة ، إلا أن مذكرات غادة بقيت كما هي ، وكأن شيء لم يكن .

أصبح حسان يشعر بالضعف والانكسار ، فترة إن حملتها الجبال لفُتت ، من قضايا قتل لروح تطارده أم أنه شخص مجهول . .

وأخرها جوانا . . حبهُ الأول والأخير .

رمى أحماله وعبء يومه بعيدًا، وارتمى بجسده على سريره .

ظل يحدق في سقف غرفته لساعات طويلة وكأنه طفل منتظرًا الفرج.

في تلك الأثناء تذكر بأن هناك صور في داخل صندوق غادة ، من الممكن بأن يرى شيء قد يدله عن من يطارده ، فليس من الطبيعي بأن روح غادة تطارده وتقتل كل من كان سببًا في قتل نفسها .

والغريب بأن الصورة المعلقة في جدار القصر . . مختلفة تمامًا عن التي في داخل المذكرات .

ففي بعض الصور هناك شاب غير ملتحي ، ولكنه أشبه بـ حسام ! وتلك الصورة العائلية التي راها في القصر . . موجودٌ فيها أيضًا ! فكيف في القصر لم يراهُ فيها ؟

والأغرب من ذلك بأن ذات الفتاة التي لم توضح ملامحها في القصر ، لم تكن أيضا واضحة في جميع الصور .

تلقى رسالة نصية في تلك الأثناء محتواها جعل حسان يتذكر ناقل المعلومات التي به مجلد " غادة " .

" كان أدم خبيث . . وهذا ما كان يستحقه " .

اسرع باحثًا عن جهازه المحمول ليتصفح ما في المجلد . .

وعند فتحه . . وجد ما كان صادمًا بالنسبة له ، فحوصات بأسم

"زياد أنس عبدالله الـ . . " .

أكدت الفحوصات بأن زياد هو أخ حسان . . أبًا عن جد .

ووجد فيلم مُسجل من كاميرات المراقبة لفتاة لم يظهر وجهها ، تدخل لديه مكتبه وهي تعرج ، تتقدم بطلب المساعدة .

هذا تمامًا ما ذُكر في أحد مذكرات غادة ! ! .

وفي نهاية الفيلم المسجل يطلب الخروج من مكتبه بالسرعة القصوى وعند خروجها أخذ هاتفه متصلًا بأحدهم قائلاً " للتو خرجت من مكتبي ، وقد أخبرتها بما فعلته بها لا تقلق فهي الآن تعلم بكل شيء، الأهم من ذلك متى ستحول لي المبلغ ؟ .

دارت المحادثة عن المال والمبالغ وغيرها من الأمور وانتهت بـ " شكرًا لك يا سيد . . حسام " .

حُسام ؟؟ في بداية الأمر كان يعتقد حسان بأن زياد هو صاحب الاتفاقية ، ولكن ما علاقة حُسام بما دار حول عملية الأستئصال ؟

مئات الأسئلة والجواب . . مجهول .

حُسام . . صديقي وصديق زياد ؟

كانت احتمالية هذا الأمر بأن يكون حقيقيًا وواقعيًا يميل بنسبة عالية ، فقبوله في وظيفة شاغرة وفي وسط لندن لم يكن متوقعًا .

فقد تخرج حسان من الجامعة بتخصص إدارة مالية ، بتقدير جيد .

تقدم لعدة بنوك في داخل لندن وخارجها ولم يُقبل إلا بعد مقابلة حُسام في أحد المصارف الكُبرى ، فقد كان المسؤول عن قبول الموظفين وشؤونهم .

أيعقل بأنه قرأ اسمي ضمن أحد المتقدمين وتأكد بأنني أخًا لزياد ؟

وهل كل ذلك صُدفة ؟

اتصل على حُسام ليطلب مُقابلته ، ولكنه لم يرد .

أخذ مفاتيح سيارته وذهب مسرعًا لمنزله . .ولكن كان القدر أسرع .

وصل حسان وطرق الباب مرة تلي الأخرى . .

ولا أحد يجيب ، وتلقى رسالة في ذلك الحين " **لا تطرق الباب فهو لن يسمعك . . أكسره وادخل وأني اعتذر عما ستراه في الداخل** "

وبالفعل كسر حسان باب المنزل ودخل .

دماء في كل مكان . . أمعاء ظاهرة ومنظر يقشعر البدن مِنه .

صدمةُ حسان جعلته لا يستطيع البكاء أو الصراخ أو حتى الهرب.

راوده اتصالاً هاتفيًا "**كن حذرًا بأن تترك بصماتُك في الأنحاء واسرع بالخروج من منزل هذا القذر ، لتلحق . . بجوانا**" .

جُن حسان وكأن هناك جان تلبسه ، فها هو فقد صديق وأن تأخر مرة أخرى . . فسيخسر جوانا وللأبد .

استجمع قواه وسارع بالهرب من المنزل ، وكان محظوظاً فبين وقت هروبه ووصول رجال الشرطة ثلاث ثوان . .

ولحسن حظه أيضاً بأن منزل حُسام يبعد عن منزله مسافة خمسُ دقائق ، مما سرع عملية الوصول .

وجد سيارةُ الإسعاف عند المبنى ، أول ما خطر في باله هو أن جوانا قُتلت ، ترك سيارته ف منتصف الشارع وأخذ يجري حتى شقة جوانا ، طرق الباب ولم تفتح . .

فقرر الدخول بكسره .

ووقتها . . انقلبت الأحداث مئة وثمانون درجة .

الباب الرابع :

حتى أبيضت عيناي – الحقيقة – .

الطبيب فرانك برفقة جوانا في منزلها . .

كان وجود الطبيب مريبًا بالنسبة لحسان ، والأغرب هو ضحكُ جوانا وكأنها تعرف فرانك منذ زمن ! .

" ابتسامة فرانك " هي أخر ما يتذكره حسان قبل تخديره من قِبله

وعندما استيقظ وجد نفسه في غرفة غادة . . في القصر .

شعر بأن رجليه منتفختا بشكل غريب ، لا يستطيع الحركة . .

اصبح يصرخ منادًيا بـ " جوانا . . جوانا " .

حتى دخلت عليه امرأة عيناها مبيضتان وشعرها كثيف .

منظرها كان بالفعل مخيف . . خطواتها تقربها من حسان أكثر فأكثر ، وذلك جعل حسان يزداد خوفًا .

ضحكتها هي ذات ضحكة " جوانا " ،حتى تلك الشامة التي تعتلي خدُّها ، جوانا ولكن بوجه شحوب وعينان بيضاء .

سحبت المقعد الذي كان بجانب حسان وجلست ، نظراتها ونبرة ضحكاتها مخيفة للحد المميت ، وأول ما نطقته هو

" حتى أبيضت عيناي" .

حسان : من أنتِ ولِم تُطارديني كل هذه الفترة ؟

أجابت : جوانا هي أنا . . وأنا غادة .

حسان : غادة انتحرت ! ! فكيف لكِ بأن تكونِ غادة .

غادة : أتتذكر تلك الصورة التي رأيتها في الأسفل ؟ .

حسان : نعم ! ! ولكن ما علاقة الصورة بسؤالي ؟ .

غادة : قبل أن أجيب عن سؤالك . .

أريد أخبارك بأن لا وجود للجدة . . ولا وجود لتلك المرأة التي استقبلتك عن باب القصر وحتى الخادِمة .

جميعهم . . أنا .

حسان : كيف ؟ فتلك المرأة التجاعيد تملئ وجهها وجسدها !

بينما أنتِ شابة ! ! .

غادة : لا شيء أسهل من مساحيق التجميل والشمع وغيرها من الأمور .

ولكن دعني اخبرك عن كُل ما حدث منذ عام ٢٠٠٩ . .

تقدم لي زياد في عام ٢٠٠٩ عند تخرجي من المرحلة الثانوية ،

خدعني وخدع أهلي بأن يجعلني أُكمل دراستي في الخارج . .

وكل ذلك تبخر منذُ أن وطئت قدماي أرض لندن .

وصلت لهذا القصر العظيم ، وعشتُ مسجونةً فيه لمدة عامين . .

لا صديقات . . لا دراسة . . ولا أهل .

كل ما كنت أراه هو لوحٌ وأقلام رصاص ، وأربعة جدران .

طلبت منه بأن ننجب طفلًا عندما شعرتُ بالوحدة، في بداية الأمر

فرح وأيد الفكرة . .

لكن ذات يوم دخل للمنزل حاملًا همومه على كفه ، وعندما سألته

أخبرني بدمٍ بارد . . بأنني عقيمة .

مخادع ومجرم . . فقد وصل به الحال لأن يأخذ رحم زوجته ويبيعه بثمنٍ وقدره .

تفاصيل ذلك اليوم المشؤوم ما زال في ذاكرتي وأعيشه يومٌ بيوم ، فقد وضع لي عقار في طعامي يجعلني أشعر بألآم في بطني لا تُطاق .

وعند ذهابي لأجراء العملية في اليوم الذي يليه ، وبعد سماعي لما قاله ، أكتشف من الطبيب أدم بأن العملية التي أُجريت لي هي استئصال ، و المضحك هو عندما طردني أدم من مكتبه ظللت واقِفةً في الخارج بالقرب من غرفته ، وسمعت محادثته مع أحد . . وذلك الشخص كان هو حُسام .

حُسام صديق زوجي ، الذي دخل ذات مرة منزلنا وتغزل بي أمام زياد ، ولم ينطق بحرفٌ واحد ، اذكر في تلك الليلة نمت باكِيةً من ضرب زياد لي ، دون سبب .

وفي تلك الأثناء رأني فرانك أتعصر من ألآم راودتني . .

سحبني في الخفاء لغرفة أحد المرضى ، وضع لي مخدر موضعي فلم أشعر بشيء بعدها وحاول تهدئتي ليفهم ما الذي حدث .

وعندما قلت لها ما حدث بالتفصيل الممل ، أخرج من جيبه هاتف وطلب مني أخذه وإخفاءه لحين أخر ، وقال لي في تلك اللحظة

" قتلوا ابنتي باستئصالهم لكليتها ولم أخذ حقها حتى الآن " .

وطلب مني البقاء بالقرب من المشفى ، لأن زياد لن يبحث عني بعيدًا عن المشفى ، فأنا لم أكن أعلم أي مكان في لندن .

وبالفعل زياد طلب من أدم مراقبتي منذ خروجي من المشفى، كنت متوقعة قدومه لأخذي من الشارع وكنت مستعدة للرجوع للمنزل وتلقي الضرب بشتى أنواعه . . فقد أعتدت عليه .

حسان : ولكن ليس هذا ما كُتب في المذكرات ! ! .

غادة : كنت أعلم بأن زياد يقرأ مذكراتي يوميًا لذلك لم أوضح أي شيء مما ذكر .

حسان : وماذا فعل فرانك ؟ .

غادة : يبدو بأنك مستمتع بالقصة . .

فرانك اتصل بي ذات يوم وطلب مني وضع منوم في عصير لزياد . .

ليتسنى لي فتح جهازه المحمول الخاص . .

وطلب مني أيضًا البحث عن ملف باسم " جوانا فرانك " . .

وجدت وقتها فحوصات طبية و صور لجوانا ، وغيرها من الأمور

التي تتعلق بحالتها الصحية والحياتية ، فكانت مراقبة من قِبل

أشخاص . . وبمعنى أخر مستهدفة .

قال لي وقتها : افتحي الصُحف التي وصلت للقصر صباح اليوم ،

وستجدين ناقل معلومات ، انسخي كل ما في هذا المُجلد فيه

وعندما تنتهين من الأمر خبئيه في صندوق صغير ، وسيصل صباح

الغد رجل سيسلمُكِ صُحف أخرى أعطه إياه .

وبالفعل فعلت مثلما طُلب مني بالحرف الواحد . .

غاب يومين وعاد ليتصل مرة أخرى ولكن وقتها قال لي بأن زياد قارب على الإفلاس . .

فلم يعد يملك سوى القصر الذي نعيش به ، فجميع أمواله حُولت من حسابه لِحساب باسم حسام .

شعرت وقتها بالخوف الرهيب . .

فإن لم يجد ما يبيعه . . سيستأصل عضو أخر مني ويبتاعه

وعندما سألت فرانك عن ما يجب فِعله طلب مني أخذ شريط لاصق ووضعها في أصابع زياد . .ومن ثم رش بعض الدقيق عليه .

تعجبت بداية الأمر . . ولكن قال لي "كُل شيء سيصبح ملكك" .

كيف كُل شيء سيصبح ملكي وزياد لم يعد يملك شيئًا !

هذا أول سؤال راودني . . ولكن قطع حبل أفكاري قائِلًا

المشفى الذي أعمل به والمزارع المحيطة بالمنزل ومبنى بعشرين طابق،

كل ذلك سيصبح ملكٌ لكِ .

ضعي اللاصق في صناديق متفرقة وأعطيها لساعي البريد الذي

سيصل لمنزلك صباح يوم الغد .

يوم يلي الأخر . .

حتى أتى اليوم الذي دخل عليّ زياد برفقته فتيات ومعه حُسام،

وعندما صرخت في وجهه . . سكب المُسكر في وجهي وأصاب

بعضه عيناي . .

سحبني من ملابسي وكأنني قُمامة . . لخارج المنزل .

أمام الجميع أهانني . . ضربني . . أعمانِي .

بتُ ليلة كاملة في الخارج وعندما اتى الصباح طلب مني الدخول للمنزل ، وعندما رفضت أكمل ضربه حتى فقدتُ وعيي .

هه ، استيقظت وانا مكبلة في السرير . .

وجدتهُ جالسًا بجانبي مثل ما أنا جالسة الآن ، مستهزئً بحالي .

وضع أمامي مرآة . . وحينها رأيت نفسي بضبابية . . وعيناي بيضاء .

أخوكَ لم يكن عادِلاً معي . . لذلك قتلتهُ .

حسان : قتلتيه ؟ .

غادة : عندما ذهب في ذلك اليوم زياد لعمله ، اتصلت بفرانك طالبة النجدة منه ، ولم يتأخر .

أتى وجلب معه أدوية لي . . ولكن تشخصيه أقفل أبواب الأمل في وجهي ، فقد أخبرني بأن قزحية العين تدمرت .

يمكنني الإبصار ولكن لا لون لعيناي . .

مثلت أمام الجميع بأنني أصبحت عمياء ، وأجدت هذا الدور .

طلبت من فرانك بأن يبحث لي عن عقار أن ابتلعه الشخص يتسبب له بنوبة قلبية .

فأجاب : لا يوجد عقاقير مثل هذه تُباع ، ولكن هل زياد يشعر بحساسية مفرطة تجاه شيء معين ؟ .

أجبته بأن لديه حساسية مفرطة تجاه البندق، فقد سألني عندما عقدنا القران هل الكيك يحتوي على كريمة بندق .

ولكن ما علاقة هذا بالعقاقير ؟ والنوبات القلبية ؟ .

أجابني بأنه إن تناول شيء يحتوي على البندق فاحتمال إصابته بالنوبة القلبية قد يصل ٨٠% .

فطلب مني عدة أمور ، وأولها هو التظاهر جيدًا بأنني عمياء والطلب الثاني والأهم هو الاتصال على أحد محلات التي تصنع الكعك وتكون حشوتها بالبُندق .

ومن حسن حظي يوم الثلاثاء من ذات الأسبوع كان يوافق يوم ميلاده، فكانت هناك حجة قوية لطلب الكعك .

وعندما اتى اليوم الموعود . .

استقبلته بأجمل الفساتين ، التي لدي وطلبت من أحد مراكز التجميل إرسال فتاة تضع لي بعض مساحيق التجميل .

تفاجئ بدخوله للمنزل ورؤيتي بهذا الشكل فمنذ زفافنا وأنا لم أضع اية مساحيق تجميل ولم ألبس فساتين .

طلبت منه قطع الكعك والأكل منها ، وبالفعل أكل منها .

ظن بأنني لم أراه وهو يختنق في الثانية الواحد . . ألف مرة .

ولم يستطع النطق بحرف واحد . . رأيته يحتضر أمام عيني .

عندما سقط على الأرض أخذت السكين وظللت أطعن فيه

حتى وصلت طعناتي ١١٣ طعنة . .

مسحت اثار بصماتي من السكين ، وصعدت لغرفتي وبدلت

ملابسي ، وخلدتُ للنوم .

وعند صباح اليوم التالي . .

نقلت مرسمي لأمام جثته وجهزتُ قهوتي لأتلذذ بجمال المنظر . .

اتصل فرانك وأخبرته بأنني قتلت زياد ، وقال لي " أصبحتِ مالكة

للقصر والمبنى وحتى المشفى . .كل ذلك بفضل بصماته " .

شعرت وكأن الجرح الصدع الذي بداخلي . . ترمم .

الجرح الذي تسبب به الجميع . . أزهر .

لم أشعر بالراحة حتى دفنته برفقة فرانك ، من فرحٍ في ذلك اليوم تركت دمهُ كما هو ، ذلك المكان الذي قُتل فيه هو ذات المكان الذي وقفت عليه عندما اتيت للقصر . .فتلك المادة عندما تُسكب على الدماء . . تشع .

ولكن لا يهم . .

بعد دفن زياد بدأت ابتزاز كُلاً من أدم وحُسام . .

فكُل تسجيلاتهم التي كانت برفقة زياد ، مُحملة في داخل جهاز زياد المحمول .

حاولوا قتلي مئة مرة ، ولم يتوقفوا حتى نفذت خطتي بأن أموت منتحرة أمام الجميع . .

جلب فرانك فتاة ليل وخدرها ، ووضعت لها بعد ذلك بعض المساحيق التي تجعل شكلها شبيهًا بي ، واتصلت على الأحمق حُسام ممثلة بأنني محتاجة له .

وعندما وصل للقصر . . وجد الفتاة معلقةٌ في سقف الغرفة" .

أحمق . . ظن بأن تلك الفتاة هي ببعض من مساحيق التجميل .

صعد للأعلى وبحث عن الجهاز وعندما وجده أخذه معه .

لم يكن يدرك بأن هناك نسخ أخرى مع فرانك ومعي .

في سنة واحدة استخرجتُ هوية بجنسية بريطانية حاملةً أسم " جوانا فرانك " ، استخدمت العدسات اللاصقة لتغير لون عيناي وارتدي الشعر المستعار الذي رأيته .

حسان : وكيف وصلتِ لي ؟

وماذا تُريدين منيِ ، أما أخذتِ بثأركِ ؟ .

غادة : شعور غريب راودني ِتجاهك . .

لم تكن ضمن حِساباتي ، حتى أخبرتني أحد العاملات في البنك

بأن هناك اسم مقارب لأسم زوجي زياد .

وعندما سألت عن الأسم بالكامِل عرفت بأنك أخوه .

ظللت أبحث عن معلومات تتعلق بك ، شهادتك وتقديرك الجامعي

وغيرها من الأمور ، وفي خلال يوم وصلني كُل شيء .

طلبت من مدير البنك تعيينك ، ولم يرفض البتّ

وبما أن البنك في منطقة قريبة من المبنى الخاص بي . .

وضعت إعلان لشقة شاغرة في أحد المباني القريبة لموظفي البنك.

ونجحت خطتي أيضًا وها قد صرت من سُكانها .

في فترات غيابك كُنت أدخل للمنزل وأُفرغ كاميرات المراقبة التي في منزلك ، وكان الأمر سهل بالنسبة لي .

أُعجبت بِي وعندما تقدمت لخطبتي ، وجدتها فرصة للإنتقام .

أوهمتُك بكل حرف قلته ، أدخلتُك في عالم الحب ببساطة كبرى .

ولكن كان يؤلمني قلبي عندما أستمع عما تقوله عني للأخرين ، جمالي وأخلاقي وحتى لطافتي .

بالرغُم من أنني أكبر مِنك بإحدى عشر عام في الواقع .

لم تكن تعلم بأنني المالكة للمبنى والمشفى وذلك القصر .

حسان : ولِم قتلتي أدم وحسام ؟ وحتى ذلك الرجل الذي يسكن في الشقة ١١٣ ؟ .

غادة : قتلت أدم عندما رأني في غرفة العمليات دون أية مساحيق تجميل ، أتاني في غرفة الإفاقة وسألني وهو في قمة الثقة من الإجابة " ءأنتي غادة ؟ " استجمعت قواي قليلاً وأجريت اتصالًا هاتفيًا لفرانك وقلت له بأن أمري قد فُضح بواسطة أدم .

وهو تكفل بالباقِي ، وهو ذاته الذي أخذني من المشفى .

أما حُسام فقد رأني برفقتك ذات مرة ، وهددني بقتلك أن لم أخبره عن التسجيلات المتعلقة به .

بعد خروجي من المشفى أتجهت لمنزله برفقة فرانك . .

تكفل هو بقتله واستخراج أمعائه ، وأنا بصب الدماء المأخوذة من المشفى في الأنحاء ، أما ذلك الرجل ما هو إلا ضحية لأستدرجك لغرفة ١١٣ .

حسان : أتريدين قتلي الآن ؟ .

غادة : أخذت من هذه الدنيا ما يكفي ، مال . .جمال . . موهبة ولكن الحب لم يطرق باب قلبي إلا معك .

اهتمامك بي ، ووقوفك بجانبي طيلة الوقت ، لن يسمح لي بقتلك .

ولكن لا تقلق . . تكفل فرانك بذلك فبعد ثوانٍ قليلة سيتجلط دمك بالكامل . .

إن رأيت زياد في الجحيم . . فأخبره بأنني أحببتك أكثر منه .

"كثرة الضغط تولد الإنفجار ، وكثرة العنف تولد مجرم . .

مهما طال الزمن أو قصر فستبقى الفتاة في أعين العديد .. **عار"**

سالي نقاش

النهاية ..